لا تزال الاولية لباكو وجهات القوقاز . واذا قابلت محصولها بمحصول الولايات المتحدة كانت اربعة اضعاف اوفر منها . حتى انَّ الجيولوجيين قد شبَّهوا باكو ونواحيها باسفنجة مغموسة في البترول بدلًا من الماء . وقبل ان تنفد خوازنها سوف يمرّ عليها قرون كاملة . واذا زدت على هذه المناجم احواض استرالية وزيانده مع ما يستخرج منهُ في بعض جهات اوربَّة غير روسيَّة كالمانية وغاليسية ورومانية رأيت صحَّة قولنا في اوَّل مقالتنا من انَّ البترول قد دخل الآن في لوازم التمدُّن الحالي وانَّ ثروتهُ اوسع من ان تنفد . فلهُ تعالى الشكر على ما انعم لسدّ حاجات خلقهِ وهو يفتح لهم كلّ يوم بابًا جديدًا من الرزق فسبحانهُ وتعالى اسمهُ مدى الدهور

ناصيف المعلوف وأُسرتهُ

بقلم عيسى افندي اسكندر معلوف مدرّس آداب اللغة العربيَّة والخطابة في المدرسة الشرقيَّة في زحلة (تتمَّة)

٧ في المناصب التي تولَّاها ناصيف معلوف وفي مترلتهِ لدى العلماء

ولمَّا ذاعت معارف ناصيف وتآليفهُ في انحاء الممالك المحروسة غنا ايضًا خبرهُ في اوربَّة فطلبهُ اللورد رگلن (Raglan) بصفة ترجمان فاجاب الى طلبهِ برخصة الدولة السنيَّة ورافقهُ في اسفارهِ وذلك في اوَّل آب سنة ١٨٥٥ وبقي في منصبهِ الى ٣٠ ايلول من السنة التالية وكان مع قيامهِ باعباء رتبتهِ يدرّس اللغة التركيَّة عددًا من رفقتهِ حتى اكتسب ثقتهم . وكان في اثناء ذلك يخدم الحكومة السنيَّة اصدق الخدم حتى انعمت عليهِ بالوسام المجيديّ الاول في تاريخ جمادى الاولى سنة ١٢٧١ (١٨٥٤ م)

وفي سنة ١٨٥٦ ذهب ناصيف الى مدينة لندن فنال الحظوى لدى العلماء الانكليز ونظمتهُ جمعيَّة الاثينيوم العلميَّة في سلك اعضائها فشكر لهم هذه النعمة في رسالة تاريخها آب سنة ١٨٥٧

وبقي في عاصمة الانكليز الى شهر تشرين الاوَّل من السنة المذكورة فبرحها الى مدينة بخرش (Bucharest) حاضرة بلاد رومانية وانضمَّ الى السر هنري بُلوِر (Bulwer) معتمد انكلترة وبقي في خدمتهِ . ثمَّ رافقهُ الى الاستانة العليَّة في حزيران من السنة

١٨٥٨ بصفة ترجمان وكان يدرّسهُ اللغة التركيـة ولهُ قدّم معجمهُ التركيّ الفرنسويّ كدليل على شكرهِ لهُ وصدّرهُ بصورتهِ

وفي العام القابل فرغ منصب الترجمان الاوّل لقنصليّة انكلترة في ازمير فتهيّأ لهذا المقام برخصة الدولة العليّة وباشر باعبائهِ في ايّار من السنة فقام بها وُكل اليهِ احسن قيام حتى اكتسب رضى الدولتين معاً

وبقي ناصيف بعد عودتهِ دائبًا في عملهِ منكبًّا على التأليف مع تصحيح ما طبع من الكتب واعادة طبعها . وكثيرًا ما كان ينسخ بخط يدهِ مؤلفاتهِ مرّتين او ثلاثًا

وفي غرّة تشرين الاوّل سنة ١٨٦٣ نشر بعض العلماء سيرة حياتهِ باللغة الافرنسية في جريدة رائد الشرق (courrier d'Orient) ثمّ طُبعت على حدة في ١٩ صفحة وعنها وعن غيرها من المقالات لخصنا سيرتهُ هذه . وهكذا كان ناصيف يشتغل بدون ملل الى ان انحطت قواه عملًا بقول الشاعر :

واذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادهـا الاجسامُ

ولمّا كانت سنـة ١٨٦٥ وفد الهواء الاصفر الى القطر المصري ثم اتصل ببيروت وامتد الى الاساكل والمدن الداخليّة ففتك فتكًا ذريعًا ولمّا فشا في ازمير اوعز الاطبـاء الى ناصيف ان يشخص الى بعض عواصم اوربة ترويحًا للنفس فعمل بمشورتهم ولمّا انقطع دابر الوباء من ازمير عاد اليها مريضًا واصطاف في قرية كوتجه بظاهرها فلم يلبث ان قضى نحبهُ فيها في ١٤ ايار من هذه السنة (١٨٦٥) غريبًا عزيبًا فنقل الى ازمير ودفن في كنيسة الآباء الفرنسيسكان وقد ارخت وفاتهِ ببيتين تراهما تحت رسمهِ الذي نُشر سابقًا (ص٩٦٦)

هذا وقد نال الفقيد لدى معاصريهِ وكبار رجال عهدهِ ثناء طيّبًا حتى لو اردنا تدوين كل ما كُتب في محامدهِ لطال بنا الكلام . واوّل ما يُقتضى علينا ذكرهُ منزلتهُ لدى دولتنا العليّة أيّدها الله فاحسنت اليـهِ بالوسام المجيدي الخامس بموجب براءة سلطانيّة تاريخهـا اواسط شهر ذي القعدة سنة ١٢٧٢ (١٨٥٥) لم تزل محفوظةً كدليل التعطّفات الشاهانيّة على رجل من رعاياهـا المخلصين . وتنازل جلالة السلطان الغازي عبد المجيد وقبل هديّة تآليفهِ . وادرجت جمعية العلوم والآداب التركيّة (انجمن

دانش) التي نشئت في الاستانة سنة ١٨٥١ اسم ناصيف في سجلّ مختاريها ونخبة رجالها كما احصتهُ الجمعيّتان الاسيويّتان الفرنساويّة والبريطانيّة في عداد اعضائهما واثنا على همّتهِ

واهداهُ جلالة ناصر الدين شاه العجم وسام الاسد والشمس (شير خورشيد) من الطبقة الرابعة ببراءة تاريخها ربيع الآخر سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩م) . ولقد فتحت جرائد الممالك المحروسة من عربيّة وتركيّة وارمنيّة اعمدتها لمقالات ناصيف معلوف وتقريظ مؤلفاتهِ والثناء عليهِ مثل جرائد الاستانة العليّة وازمير وبيروت (حديقة الاخبار) وتكرّر اسمهُ في الجرائد الاوربيّة ومجلّاتها كباريس ولندن وبخارست ومالطة تنعتهُ بعالم متضلّع باللغات الشرقيّة ومستشرق شهير احرز لهُ سمعة حسنة ليس في الممالك العثمانية فقط بل في عواصم اوربّة ايضاً . قال غرسان دي تاسي احد مشاهير العلماء في فرنسة « ان تآليف ناصيف معلوف تنطق لهُ بسعة المعارف والاجتهاد » . ولمّا اعاد الطبّاع ميزونوف (Maisonneuve) في باريس طبع معجمهِ الفرنسوي التركيّ الذي طُبع اوّلًا في ازمير سنة ١٨٤٩ تولّى مراجعة مسوداتهُ العلّامة اوبيشيني فصدّرهُ بمقدّمة بيّن فيها فضل الكتاب وافاض في محامد صاحبهِ وتوسّع في خواصّ مؤلفاتهِ كسهولة طريقتهِ ووضوح عبارتهِ وتضلّعهِ باللغات الشرقيّة

واعظم من هذه الشهادات شهادة المسيو بيانكي وكان اوّل من عُني بين المستشرقين في وضع معجم فرنسوي تركيّ طبعهُ سنة ١٨٣١ فنال رواجاً مذكوراً في اوربّة وبقي نسيج وحدهِ فيها الى ان نشأ وطنيّنا ناصيف فوضع معجمهُ واستفاد من طريقة المسيو بيانكي واتّسع في ذكر الاصطلاحات اللغويّة للفنون والآداب والعلوم فنال رضى العلماء لاسيما بعد طبعتهِ الثانية . وقد شكرهُ المسيو بيانكي بكتاب ارسلهُ اليهِ من باريس في ٢٦ ك ١ سنة ١٨٥٤ يثني على تآليفهِ وخصوصاً على كتابهِ « الفوائد الشرقيّة » قال :

لقد تأخرتُ الى الآن عن شكر حضرتكم على الانموذج المفيد النفيس الذي تفضلت باهدائهِ اليَّ وقدرتهُ حقّ قدرهِ منتظماً لوائح الفرص لمطالعتهِ بتدقيق رغماً عن شواغلي الكثيرة والساعات القليلة التي تتركها لي سماء باريس السديمة في هذا الفصل الحزين من السنة (كناية عن الشتاء) فكتبتُ هذا وان كان غير كافٍ وهو ان ما طالعتهُ حتّى الآن من كتابك (الفوائد الشرقية) قد حقّق سداد رأيك في عملك بتآليفك الكثيرة التي اضمّها الى مكتبتي لكثرة شغفي بجمع الكتب

فاذا ضربت صفحاً من فوائد مؤلفاتك السابقة فلا استطيع الآن ان انكر عليك فوائد غراماطيقك الشرقي المختصر وكتابك القواعد العثمانيَّة لفؤاد افندي وجودت افندي وكل قواعد ومبادئ الاغراماطيق التركي الافرنجي تامَّة المنافع ترغب الناس في اقتنائهِ . . . وانت يا مسيو اوَّل شرقي يشتغل بهذه الاعمال فمؤلفاتك العديدة الفائقة قد ساعدت كثيراً على تقدم الدروس العربيَّة والتركيَّة والفارسيَّة . . .

وكتب لهُ مثل ذلك العلَّامة الفرنسوي رينو (J. Reinaud) وغيرهُ من كبار العلماء . ومما هو جدير بالذكر ما كتبهُ بعض العلماء في مقدمة اغراماطيقهِ التركي الفرنسوي المطبوع في باريس سنة ١٨٦٢ وها نحن نعربهُ الآن لما نجد في كلامهِ من التنويه بفضل صاحب الترجمة مع التعريف بكتبهِ قال :

ان الكتب الكثيرة التي مثَّلها المسيو معلوف بالطبع قوبلت جميعها بالاكرام وحصل بها على شهرة واسعة لانهُ وهو استاذ اللغة التركيَّة في مدرسة البروباغندة الفرنساوية في ازمير وباش كاتب قومندان الفرسان العثمانيين وترجمان قنصلية انكلترة الاول في ازمير ما انقطع قطّ عن مشاغلهِ الكثيرة عن تسهيل درس اللغات الشرقية على الاوربيين ولا سيما التركيَّة . كيف لا وانهُ في اثناء اثنتي عشرة سنة قد الَّف ومثَّل بالطبع نحو خمسة وعشرين مؤلفاً كانت مرجعاً للسيَّاح في الشرق ولعلماء الاشتقاق

اما اغراماطيقهُ فحقق ما كنَّا نتوقع من استقبالهِ احسن استقبال . والترحيب بهِ لاختصارهِ ووضوحهِ وعدَّهُ من احسن الكتب الابتدائية لان المؤلفين الى الان لم يشرعوا على اسلوب اسهل واكمل من الاسلوب الذي ابتكرهُ المسيو معلوف فانهُ بعد ان يشرح القواعد بايضاح يوصلك الى الاستعمال بتمارين اشبه بمحاورات واشلة من مألوف الرسالات فهذا الاسلوب هو بلا نكير من احدّ الطرق واقومها للتوصُّل الى التكلُّم باية لغة كانت ويحدون فضلاً عن ذلك في هذا الكتاب الفرمان السلطاني في اول تموز سنة ١٨٦١ والمعاهدة التجارية بين الباب العالي ودولتي فرنسة وانكلترة بالتركيَّة والفرنساويَّة والانكليزية الى غير ذلك مما يكسب روَّام اللغات الشرقية الفوائد الكثيرة

فهذه الكتابات وغيرها التي نضرب عنها صفحاً كلُّها تؤذن بعلوّ مقام ناصيف ومكانتهِ السامية وشهرتهِ الواسعة . وكانت اللغات المتعدّدة التي اتقنها تساعدهُ على التقرّب من العلماء على تباين جنسيَّاتهم واختلاف بلدانهم فيكاتبهم ويكاتبونهُ في لغاتهم المتعددة . وهو كان يتقن العربيَّة والتركيَّة والفارسيَّة والفرنساويَّة والانكليزيَّة والايطاليَّة واليونانيَّة الحديثة ولهُ تآليف في جميعها كما سترى

٧ مؤلفاتهُ

ونختم هذه المقالة بنشر اسماء مؤلفاتهِ والاشارة الى تجديد طبعها تتمة للفائدة

معتمدين في ذلك على برنامج مكتبة ميزونوف (Maisonneuve) في باريس سنة ١٩٠٠ ولوائح نشرت في ما طبع من كتبهِ وما وُجد في المتحف البريطاني ومكتبة الاباء اليسوعيين الشرقية ومكتبة المدرسة الكلية السوريَّة في بيروت وغيرها

١ً مفتاح اللغة التركيَّة طُبع في ازمير سنة ١٨٤٦ = ٢ً محاورات فرنساويَّة وعربية وانكليزيَّة . ازمير سنة ١٨٤٦ = ٣ً محاورات فرنساويَّة وتركية . ازمير سنة ١٨٤٧ = ٤ً تمارين تركيَّة . الاستانة سنة ١٨٤٧ = ٥ً محاورات تركيَّة وعربية باللغة العاميَّة الاستانة ١٨٤٧ = ٦ً فكاهات شرقيَّة بالتركيَّة لنصر الدين خوجه . ازمير سنة ١٨٤٧ والاستانة ١٨٥٩ = ٧ً مجموع جديد لجمل ومحاورات بالفرنساويَّة والتركية في ازمير سنة ١٨٤٩ = ٨ً مبادئ القراءة بالعربيَّة والتركيَّة والفارسية في ازمير سنة ١٨٤٩ = ٩ً معجم بالفرنساويَّة والتركية طبع اولا في ازمير سنة ١٨٤٩ وثانية في باريس سنة ١٨٥٦ وثالثة في باريس في مجلَّدين بعد تنقيحه واضافة اكثر من ستة آلاف كلمة جديدة من علمية وفنيَّة وصناعيَّة وتجاريَّة وسياسيَّة وحقوقيَّة سنة ١٨٦٣ وهو الذي قدَّمهُ للسر بلور كما مرَّ = ١٠ً محاورات وقطع تاريخيَّة وقصص مختصرة بالتركيَّة والفرنساويَّة . ازمير سنة ١٨٥٠ = ١١ً الوادي الطيِّب بالتركيَّة والعربية . ازمير سنة ١٨٥١ = ١٢ً مختصر الجغرافية القديمة والحديثة . ازمير سنة ١٨٥١ = ١٣ً كتاب المراسلات التركية (لنشاءى جديد) . الاستانة ١٨٥٢ = ١٤ً مختصر التاريخ العثماني بالفرنساويَّة . ازمير سنة ١٨٥٢ =١٥ً دليل المحادثات بالتركية والعربية والفارسية ازمير ١٨٥٣ (١=١٦ محاورات بالتركية والفرنساويَّة وبالفرنساويَّة والتركيَّة . ازمير ١٨٥٤=١٧ً فوائد شرقية . في اللغات التركيَّة والعربيَّة والفارسيَّة ازمير ١٨٥٤=١٨ الهجاء العثماني طبع اولًا في ازمير ١٨٥٤ وثانية في باريس

---

١) وربما كان هذا هو الكتاب الذي وصفهُ بعضهم في قائمة المكتبة الكلية السوريَّة في بيروت عن الشرقيين بقولهِ : « التحفة الزهيَّة في اللغات الشرقية على الرسالة البيِّنة في العربيَّة والفارسيَّة نشرت اولًا بالفارسيَّة والتركية مسمَّاة بالتحفة الفارسية وثانية سنة ١٢٦٥ هـ. باسم كمال افندي ناظر المدارس الملكيَّة العثمانية واستاذ البيان وعضو مجلس المعارف واكاديميَّة العلوم الهمايونيَّة في الاستانة العلية ترجم هذه التحفة بالعربية ناصيف المعلوف في ازمير وطبعت في اللغات الثلاث على نفقة امين مخلص افندي عضو الاكاديميَّة المشار اليها في ازمير ١٨٥٣م (١٢٦٩ هـ.)

١٨٦٣ = الخاطبات الملوفية بالتركية والعربية . الاستانة ١٨٥٩ (والصواب ١٢٧٢—١٢٧٦) = ٢٠ دليل المحادثات باللغات الخمس الايطالية واليونانيـة والتركية والفرنساوية والانكليزيَّة طبع مرَّتين في باريس سنة ١٨٥٩ ثم سنة ١٨٨٠ = ٢١ دليل المحادثات باللغات الاربع الفرنساويَّة واليونانية الحديثة والانكليزيَّة والتركية طبع ثلاثاً في باريس سنة ١٨٥٩ ثم ١٨٦٣ ثم ١٨٨٠ = ٢٢ دليل المحادثات باللغات الاربع الايطالية والتركية والفرنساويَّة والانكليزيَّة . باريس سنة ١٧٥٩ = ٢٣ دليل المحادثات باللغتين الانكليزيَّة والتركية طبع مرَّتين في باريس سنة ١٨٥٩ ثم سنة ١٨٨٠ = ٢٤ دليل المحادثات باللغات الثلاث الانكليزيَّة والفرنساويَّة والتركيـة طبع مرتين في باريس سنة ١٨٦٠ ثم سنة ١٨٨٠ = ٢٥ اغرامطيق اللغة التركية بالعربية طبع اولًا في باريس سنة ١٨٦٢ وثانية فيها سنـة ١٨٨٩ بعد ان نظر فيهِ المسيو كليمان هوارت (C. Huart) ترجمان السفارة الروسية الثاني في الاستانة العليَّة قبلًا ومدرّس في مدرسة اللغات الشرقية حالًا وهو صاحب كتاب آداب العرب المشهور بالفرنساويَّة = ٢٦ معجم تركي وفرنساوي بمجلد واحد . باريس ١٨٦٣ و١٨٦٧ = ٢٧ دليـل المحادثات باللغات الثلاث الفرنساويَّة والانكليزيَّة والعربية طبع اولًا في باريس ١٨٦٢ وثانية فيها سنة ١٨٨٠ (١

هذا وقد بقي لهُ بعض مؤلفات لم نعثر على اسمائها والسنة التي طبعت فيهـا فنذكر منها نقل حكايات باركن (Berquin) من الفرنساويَّة الى التركية وغيرها لأن مؤلفاتهِ المطبوعة فوق الثلاثين عدًّا فضلًا عمَّا هو مخطوط منها ولم يُطبع

وفي الختام اطلب من القراء الكرام الذين يرون في هذه المقالة غلوًّا ان يطالعوا مجموعة الجرائد الاوربيَّة في ايامهِ وما كتبـهُ بعض الافرنج ان لم نقل اشهر علمائهم

---

١) ومما وجدنا لتاصيف المعلوف في مكتبتنا الشرقيَّة كتاب مكالمات لطيفة وامثال وتواريخ مترجمًا من الفرنساويَّة الى التركيَّة تاريخهُ ١٢٦٦ (١٨٥٠) قدَّمهُ لاحمد فتحي باشا وطبعـهُ في الاستانة وقد ترجم ايضًا من الفارسيَّة التركية الى العربيَّة رسالة كمال افندي المعنونة « التحفـة الزهيَّة في اللغات الشرقيَّة » (ازمير ١٢٦٩—١٨٥٣) ولهُ ايضًا دليـل آخر في ثلاث لغات الفرنساوية والانكليزية والعربيَّة الدارجة في الشام ومصر مع تقبل لفظ اللغة العربيَّة بحرف فرنجي باريس ١٨٦٤ ولعلَّهُ المذكور تمت العدد ٢٧ (المشرق)

فيعذرونني لانني تجنّبت ايراد حقيقة لا اسناد لها مع ان هذه اوّل مقالة على ما اعلم نُشرت عن فقيدنا في اللغة العربية ما عدا شذرات قليلة طلبها مني بعض انسباني منذ بضع سنين ولا اعلم اذا كان قد نشرها في خارج سوريّة مستدرأ على الفقيد وابل الرحمة . وطالبًا من اهل النقد الذين يعرفون عنه شيئًا ان يتكرموا بنشره والله المسؤول بالعفو عن المترجَم والمترجِم بمنّهِ وكرمهِ

المخطوطات العربيّة في خزانة كليّتنا الشرقيّة

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

٧ الكتبة الكنسيّون الى القرن الخامس عشر: اوّلًا الملكيون (تتمّة)

(العدد ٩٠) كتاب مجلّد بجلد اسود ومقوّى بورق ملوّن طولهُ ٢٧ سنتمترًا في عرض ١٨ س صفحاتهُ ٢١٠ وفي كلّ صفحة ٢٣ سطرًا وهو مكتوب بحبرين اسود واحمر على ورق قديم يرتقي عهدهُ الى نحو ٣٠٠ سنة وهو خالٍ من التاريخ لسقوط صحيفتهِ الاخيرة . امّا الكتاب فيتضمّن تاريخًا لاحد الملكيين اسمهُ اغابيوس ابن قسطنطين المنبجيّ من كتب القرن التاسع وقد ذكرهُ المسعوديّ في كتاب الاشراق (ص ١٥٤ من طبعة ليدن) وهو يدعوهُ محبوب ابن قسطنطين المنبجيّ واشار الى كتابهِ هذا . وعنوان التاريخ وارد في صدرهِ: « كتاب العنوان المكلّل بفضائل الحكمة المتوّج بانواع الفلسفة الممدوح بحقائق المعرفة » يليهِ في الصفحة التابعة :

« بسم الله الواحد الابدي الازليّ السرمدي وبهِ نستعين . كتاب العنوان .... ممّا اعتنى بجمعهِ الشيخ الفاضل المعلّم العالم الفيلسوف الكامل اغابيوس ابن قسطنطين الروي المنبجيّ وارسلهُ الى رجلٍ فاضل يقال لهُ عيسى ابن الحسين . (حاشية) اعلم وفّقك الله تعالى انّ هذا الكتاب المبارك جمعهُ وصنّفهُ وألّفهُ من كتب الله المقدّسة ومن كتب الفلاسفة والحكماء واجهد نفسهُ فيهِ مع كدّ وتعب وجدّ ونصب ووضعهُ لمنفعة وربح كثير للناس ممّن ينظر فيهِ . . . »

ثمّ تتبع المقدّمة :

« وهذه فاتحة الكتاب . قال الرسول الالهي انّ كلّ عطيّة صالحة وكل هبة كاملة هي منحدرة من العلوّ من اب الانوار . وقد اختصّك الله ايها الحبيب بموهبة صالحة حسنة الذي جعل فيك من الحبّ المبادرة الى معرفة وجود ضياء الامور والوقوف على حقائقها . . »